مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الثاني
(8 رجب 1447هـ/ 28 ديسمبر 2025م)، ص 31– 54

المساجد المبكرة بالمغرب الأوسط (الجزائر) من الفتح الاسلامي إلى غاية التواجد العثماني

Early mosques in central Maghreb (Algeria) from the Islamic conquest to the Ottoman presence

[1] د/ مجاهدي إبراهيم Medjahdi Brahim

[1] جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)

المؤلف المرسل: د / مجاهدي إبراهيم البريد الالكتروني: brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 06 /07/ 2025 تاريخ القبول: 04 /12/ 2025 تاريخ النشر: 28/ 12/ 2025

الملخص: ينطلق هذا البحث أساسا نحو تقريب المفهوم العام لبروز ظاهرة بناء المساجد وتأسيسها بالقطر الجزائري شرقا وغربا بالترتيب الكرونولوجي أوّلا بأوّل تبعا لمختلف الفترات التاريخية التي مرّ بها المغرب الأوسط–الجزائر– إلى غاية وصول العثمانيين وتواجدهم به، إذ لا يمكن المضيّ قدما في دراستنا دون التّطرق إلى ضبط مفهوم المساجد ونشأتها وتطوّرها منذ ظهورها المبكر بالعالم الإسلامي قبل وصولها وانتشارها بالجزائر.

ولعلّ مل جعل بحثنا يركّز ويهدف إلى وضع تصنيف تاريخي وتنميط توثيقي لمساجد الجزائر منذ الفتح الإسلامي لها إلى بداية اضوائها وتحوّلها إلى إيالة تابعة للسلطان العثماني.

الكلمات المفتاحية: مساجد؛ عالم إسلامي؛ مغرب أوسط؛ عمارة دينية؛ توثيق تاريخي.

Abstract:

This research primarily aims to approximate the general concept of the emergence of the phenomenon of mosque construction and establishment in Algeria, both in the east and west, in chronological order according to the various historical periods that the Central Maghreb (Algeria) went through until the arrival and presence of the Ottomans. It is impossible to proceed with our study without addressing the definition of mosques, their origins, and their development since their early appearance in the Islamic world before their arrival and spread in Algeria.

Perhaps what makes our research focus and aim to establish a historical classification and a documentary standard for the mosques of Algeria from the

time of its Islamic conquest until the beginning of its illumination and transformation into a province under the Ottoman Sultan.

Keywords: Mosques; Islamic world; Middle Maghreb; Religious architecture; Historical documentation.

1.مقدمة:

ترقى المساجد لأن تكون أهمّ العمائر الواجب منا التّطرق إليها وهي التّي اكتست –انطلاقا من وظيفتها– صبغة دينية محضة اكتسبتها عبر مرور الزّمن وخلال مختلف الفترات الإسلامية المتعاقبة من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة العثمانية، ولعلّ ممّا يمكننا استحضاره هنا –وإن كان كلاما عامّا شمل جميع المنشآت إلّا أنّه يمكن إسقاطه على العمائر الدّينية– هو ما ذكره المعماري فليتشر Sir Banister Fletcher في مقدّمة كتابه "عمارة العالم" أو "تاريخ العمارة" -A History of Architecture- الصادر عن جامعة لندن خلال سبعينيات القرن الماضي مشيرا إلى أنّ حكّام المسلمين وشعوبهم قد أوجدوا منشآت وعمائر ومباني ذات أنماط جديدة –خاصة أماكن العبادة وفي مقدّمتها المساجد– لم تكن موجودة من قبل، ويواصل كلامه مبيّنا أنّ هذا النّوع من المنشآت يطلق عليه عمارة إسلامية أو محمّدية.

تتولّى هذه الدّراسة البحث في نشأة هذه العمائر الدّينية بداية من أول ظهور لها بالعلم الإسلامي وإلى غاية وصولها للجزائر وانتشارها، حيث يدور فلك بحثنا حول إيجاد ترتيب كرونولوجي وتاريخي عام وشامل لهذه المنشآت المعمارية التي كانت ولا زالت من أهم المباني الإسلامية قداسة وروحية.

تكمن أهميّة هذه الدّراسة بالمقام الأول في كونها تلقي الضّوء على جانب معماري مهمّ يتمثّل في عمارة المساجد وانتشارها عبر مختلف ربوع العالم الإسلامي أوّلا قبل وصولها للجزائر.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على فكرة عنوان الموضوع والمتمثّل أساسا في إثبات أنّ ظاهرة بناء المساجد ظلّت متواصلة ومستمرة منذ أول بروز لها بأمر من رسول الله –صلّى الله عليه وسلم .

ترمي هذه الدّراسة أيضا إلى وضع تصور مُستقبلي توافقي يحمل بين طيّاته تأصيلا تاريخيا وتوثيقيا بالترتيب للمساجد ونشأتها بالمغرب الأوسط –الجزائر– منذ وصول الإسلام لهذا القطر إلى غاية نهاية الحكم الزياني به وانضوائه تحت راية الخلافة العثمانية .

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الثاني
(8 رجب 1447هـ/ 28 ديسمبر 2025م)، ص 31– 54

مقابل كلّ ما ذكر سابقا، كان ولا بدّ لنا من تسليط الضّوء على ظاهرة بناء وانتشار المساجد في العالم الإسلامي، وإسقاط حيثيات هذا الأمر على توسع دائرتها منذ بداياتها المبكرة لتصل إلى، من هنا أتت هذه الأطروحة لتميط اللّثام عن هذه المسألة المعمارية الأثرية، وتجيب على إشكالية رئيسية مفادها :

ما هي المساجد التّي وُجدت منذ الوهلة الأولى لبروز الإسلام قبل وصولها للمغرب الأوسط وانتشارها به؟

1. السياق الدلالي اللغوي والاصطلاحي للمسجد:

يعتبر المسجد أوّل منشأة معمارية دينية تمّ بنائها والاعتناء بها، وتتنوّع الأشكال المسجدية ما بين مساجد منفردة ومساجد ضمن تجمّعات معمارية، وما بين مساجد أضرحة ومصلّيات، وما بين مساجد ذات وحدة معمارية واحدة ومساجد متعدّدة الوحدات المعمارية.

1.2. الضبط اللغوي:

تمّ ذكر معنى المسجد – ويدخل هنا عدّة ألفاظ منها: المسجد، المساجد، المسجد الحرام، مقام إبراهيم، مصلّى، البيت، البيوت- ضمن القرآن الكريم في 48 مناسبة[1]، حيث يرى الزرّكشي أن كلمة مسجد من السجود أي الخضوع لله والتسليم لذاته العليا[2]، والمهمّ هنا في هذا الأمر أنّ الزّركشي قام بوضع ثبت في آخر كتابه أورد فيه الكثير من الأحاديث التي استخدمها فيه، والذّي يمكن الاستفادة منه في ضبط وحصر ورود مصطلح المسجد في حديث رسولنا -ﷺ- بألفاظه ومعانيه الكثيرة، بينما يورد ابن منظور في معجمه الأصل اللغوي للكلمة فيقول: "...**المسجِد بالكسر اسم لمكان حيث يصيب الرجل السجود والمسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصير الصغير والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود.**"[3].

2.2. التعريف الاصطلاحي:

يعتبر المسجد مكانا للعبادة فهو بيت اللهّ اصطفاه لنفسه وشرّفه بالانتساب إليه، كما يعدّ أحد المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الإسلامي، فلم يقتصر دوره على العبادة فقط بل قام مقام المدارس والمعاهد العليا التي تدرس فيها مختلف العلوم كالقرآن والحديث والنحو والآداب والعلوم العقلية.

يوضّح الأستاذ عمار بوزير العناصر الأساسية للمسجد فيقول: "...**والمسجد في العادة يتكون من: الصحن الذي يكون واسعا، ليتسع لجموع المصلين، ثم الميضأة، ويحيط بالصحن رواق مغطى يحمي من الشمس أو المطر وفي العادة يكون الرواق المقام شطر القبلة أوسع من باقي الأروقة، يتضمن محرابا ومنبرا ومقعدة للمبلغ عن الإمام، إضافة إلى المآذن أو المنارات وفي العادة تحتل الزوايا والأركان**".[4]

تفرعت عمارة المساجد إلى طرز معمارية عديدة، ويرجع ذلك للأسباب المؤثرة في بنائها كالمناخ والطبوغرافية والضّوابط الفقهية والوفرة في المواد والأساليب والتقاليد المعمارية المتّبعة وغيرها.

وقد اهتمّ الكثير من الباحثين بتصنيف العمارة المسجدية في العالم الإسلامي أبرزها تصنيف إرنست كونل الذي وضعه في كتابه المختصر الموسوم بـ: "**الفن الإسلامي**" المترجم من طرف الأستاذ أحمد موسى، إذ اعتمد فيه على المزج بين الفترات والأقاليم معطيا 11 مجموعة هي[5]:

جدول رقم01: تصنيف إرنست للمساجد.

المجموعة	أمثلتها
نشأة العمارة المساجدية.	مساجد: النبوي والكوفة والبصرة وعمرو بن العاص والقيروان.
الطراز الأموي.	مسجدا: قبة الصخرة والأموي بدمشق.
الطراز العباسي.	مساجد: بغداد وواسط وسامراء وابن طولون بمصر، والقيروان على عهد زيادة الله بن الأغلب.
الطراز الفاطمي بمصر.	مساجد: الأزهر والحاكم بأمر الله والأحمر.
الطراز السلجوقي.	مسجدا: السلطان في بغداد وأصفهان الجامع.
الطراز الإيراني المغولي.	مساجد: جوهر بمشهد وتيمورلنك في سمرقند والأزرق في تبريز.
الطراز المملوكي بمصر والشام.	مساجد: الظاهر بيبرس والناصر وقلاوون وقيتباي.
الطراز المغربي الأندلسي.	مساجد: قرطبة والمرابطين والموحدين وورثة الموحدين.
الطراز الصفوي في إيران.	مسجدا: السلطان حسين بأصفهان والكاظمين ببغداد.
الطراز المغولي بالهند.	مسجدا: شير في سهسرام وكتب الدين أيبك بدلهي
الطراز التركي العثماني.	المساجد الأولى في تركيا، ثم مساجد الإيالات العثمانية.

المصدر: من إعداد الباحث

بينما اعتمد جورج مارسيه على فكرة التطور السياسي والحضاري للعالم الإسلامي مقسّما العمارة المسجدية ضمن بحثه المعنون بـ: " **الوجيز في الفن الإسلامي**" إلى أربع مراحل هي[6]:

جدول رقم02: تصنيف جورج مارسي

المرحلة	مميزاتها
الأولى: منتصف القرن 07 إلى نهاية القرن 09 الميلاديين.	التأثر بالتقاليد المعمارية الفارسية والبيزنطية والاقتباس منها.
الثانية: أوائل القرن 10 إلى منتصف القرن 12 الميلاديين.	عامل المنافسة بين العباسيين والأمويين والفاطميين أدى إلى الإبداع وتنوع الأساليب المعمارية.
الثالثة: بداية القرن 13 إلى نهاية القرن 15 الميلاديين.	ظهور الطرازين المغولي بالمشرق والمغربي الأندلسي بالمغرب والمملوكي بينهما بمصر.
الرابعة: من القرن 16 إلى نهاية القرن 18 الميلاديين.	ظهور الطرازين الصفوي في إيران والعثماني في إسطنبول وما تبعها من إيالات.

المصدر: من إعداد الباحث

لم يتخلّف الباحثون العرب عن ركب المصنّفين للمساجد فالأستاذ ف.الشافعي قد قسّمها معماريا إلى طرازين هما:

جدول رقم03: تصنيف فريد الشافعي

الطراز	ماهيته
طراز التخطيط النبوي.	المساجد التي سارت على الأسس المعمارية للمسجد النبوي.
طراز التخطيط ذات الإيوانات.	عمائر معقدة لتعدد أقسامها وأجزائها.

المصدر: من إعداد الباحث

بينما استنتج حسين مؤنس كتابه "**المساجد**" انطلاقا من هذه التّقسيمات تصنيفا مبنيا على سبعة طرز هي: المغربي، الأندلسي، المصري، التركي السلجوقي، الهندي، الإيراني الصفوي، التركي العثماني.

كما لم يتردّد الباحث حسام الدّين بهجت النّبوي في التّنبيه على أنّ مفاد جل التّقسيمات الواردة سابقا راجع أصلا إلى اتسّام المساقط الأفقية للمساجد على مرّ الزّمان وتغيّر المكان باختلافات عديدة، ممّا جعله يقسّمها وفقا لذلك إلى أربعة مجموعات هي[7]: المساجد ذات الصحن المركزي مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة وهو التصميم المتأثر بتخطيط المسجد النّبوي، مساجد المدرسة أو الإيوان المستوحى من المذاهب الأربعة، مسجد القبة المركزية بعد الاستفادة من التقنيات التصميمية والإنشائية المتاحة، المسجد المركب المتكيّف مع الوظائف والاستعمالات الرئيسية العديدة للمسجد.

وللتّذكير فقد أعطى العديد من المهتمين بشأن عمارة المساجد فروقا كثيرة بين الجامع والمسجد، إلّا أنّ أغلب هذه الاختلافات[8] تتعلق في كون المسجد الجامع تؤدى فيه صلاة الجمعة والعيدين على العكس تماما من المسجد الذي تؤدى فيه الصلوات الخمس فقط، في حين قد يتحدّد الفرق بالمساحة التّي تكون أكبر في المسجد الجامع وأقل من ذلك في المسجد.

2. نشأة وتطور عمارة المساجد في العالم الإسلامي:

يرى أغلب المهتمين بشأن المساجد ونشأتها بالعالم الإسلامي أنّ المسجد النبوي الذي بناه الرسول ﷺ في المدينة المنورة هو أول مساجد الإسلام، إلّا أنّ هناك اعتقادا سائدا مفاده أنّ مسجد قباء الذي بناه سعد ابن خيثمة وكلثوم ابن الهدم بأمر من رسول الله –ﷺ– بعدما وضع لبنته الأولى–ولعلّه الأرجح– قد تأسّس قبل المسجد النبوي، ولكن قبل ذلك وما يمكن الإشارة إليه في هذا الباب هو ترجيح بعض الباحثين أن يكون مسجد الصحابة برأس مدر في ميناء مصوغ بأريتيريا اليوم هو الأقدم استنادا إلى تاريخ بناءه الذّي كان بعد الهجرة الأولى للحبشة في السنة الثامنة قبل الهجرة النبوية.

بعد ذلك ارتبطت المساجد الأولى بأزمنة وأمكنة محدّدة فقد بُني مسجد الجمعة الذي صلّى فيه الرسول –ﷺ– الجمعة حين وصل إليه قادما من قباء التي أقام فيها أربعة أيام –ممّا يدعم فرضية أسبقية مسجد قباء– ومتجها إلى المدينة المنورة، ثم تأسّس مسجد ذو القبلتين فهو بذلك رابع ما بُني من مساجد الإسلام وقد اشتهر بحادثة تحوّل رسول الله –صلى عليه وسلم– في قبلته إلى بيت الله الحرام به بعدما كانت قبلته طيلة 17 شهرا من هجرته باتجاه بيت المقدس –أي أنّ هذا المسجد كان في كل الأحوال موجودا في السنة الثانية للهجرة–.

كل هذا بالمجال العام للمدينة المنورة، أمّا خارجها فقد تواصل بناء المساجد بمختلف الأقطار التي وصلها الإسلام فتحا أو دون ذلك، أول ما نشير إليه هنا بالضبط هو ما أمر به الرسول –ﷺ– كلّا من وبر بن يحنس الأنصاري –رضي الله عنه– والي صنعاء ببناء الجامع الكبير في 06هـ/625م، قبل أن يبتني مالك ابن دينار –رضي الله عنه– جامع شيرمان أو ما يُعرف بـ: "**شيرمان جامع**" في الهند سنة 09هـ/629م، واختط عتبة ابن غزوان وسعد ابن أبي وقاص –رضي الله عنهما– مسجدي البصرة والكوفة في سنتي 14هـ/635م و17هـ/638م على التوالي، وبينهما كان قد أمر عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ببناء كل من المسجد الأقصى بالقدس في 15هـ/635م والمسجد الحرام بمكة بعدما تمّ فصل المصلى عن الخارج بجدران في 17هـ/638م، وأمّا في مصر فقد أسّس عمرو ابن العاص–رضي الله عنه– مسجده بالفسطاط سنة 21هـ/642م، لتُنشأ قبة الصخرة ما بين سنتي 69 و72هـ/688 و692م بأمر من عبد الملك ابن مروان.[9]

لوحة رقم01: صورتا المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالحرم القدسي ومخططيهما في الأسفل

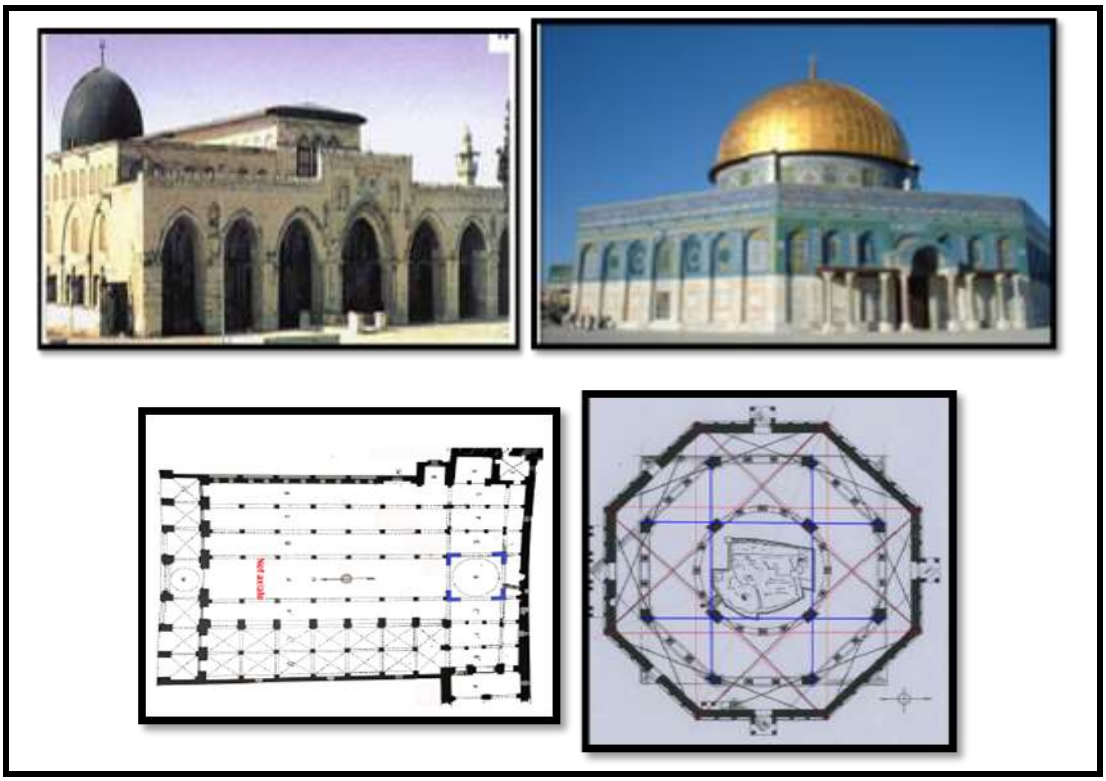

المصدر: نقلا عن مُحَّد هاشم غوشة[10].

وبالشام أنشأ الأمويون مسجدهم المشهور بدمشق بداية من سنة 83هـ/706م، قبل أن يبتني الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى سنة 97هـ/715م، وبذكر هذا المسجد نكون قد قدّمنا عرضا كرونولوجيا –في حد اطلاعنا– عن أهم المساجد التّي أنشأت خلال القرن الهجري الأول بالمشرق الإسلامي.

شكل رقم01: مخطط الجامع الأموي بدمشق

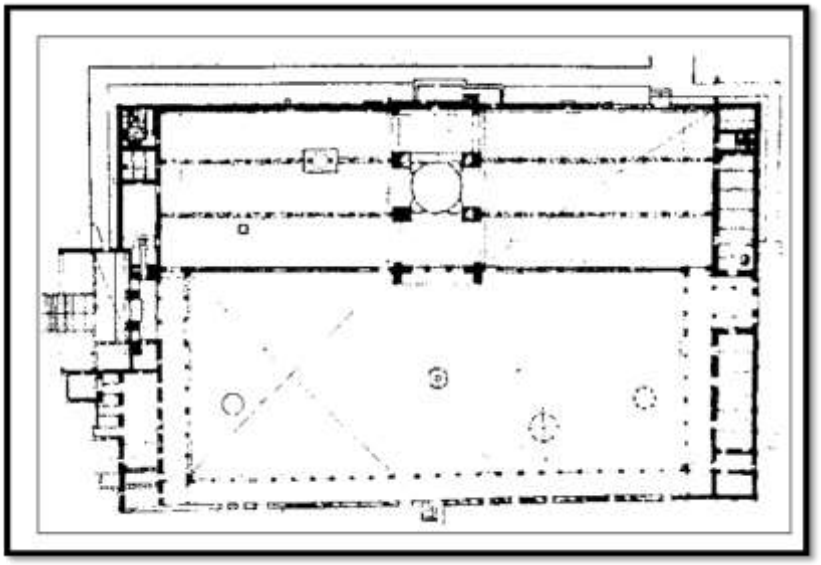

المصدر: نقلا عن سلام مُحَمَّد بشر الجيجكلي[11]

ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الغربي من البلاد الإسلامية والبداية بما أشارت إليه اللوحة الرخامية المثبّتة بمسجد أوجلة بليبيا والتي تذكر بأنّ بناءه كان سنة 44هـ/665م على يد الصحابي عبد الله ابن سعد ابن أبي السّرح-ﷺ- ليكون بذلك أقدم مسجد في بلاد المغرب الإسلامي ككل.

لوحة رقم02: صورة اللوحتان الرخاميتان المثبّتتان بمسجد أوجلة ومشهد عام للمسجد ومخططه

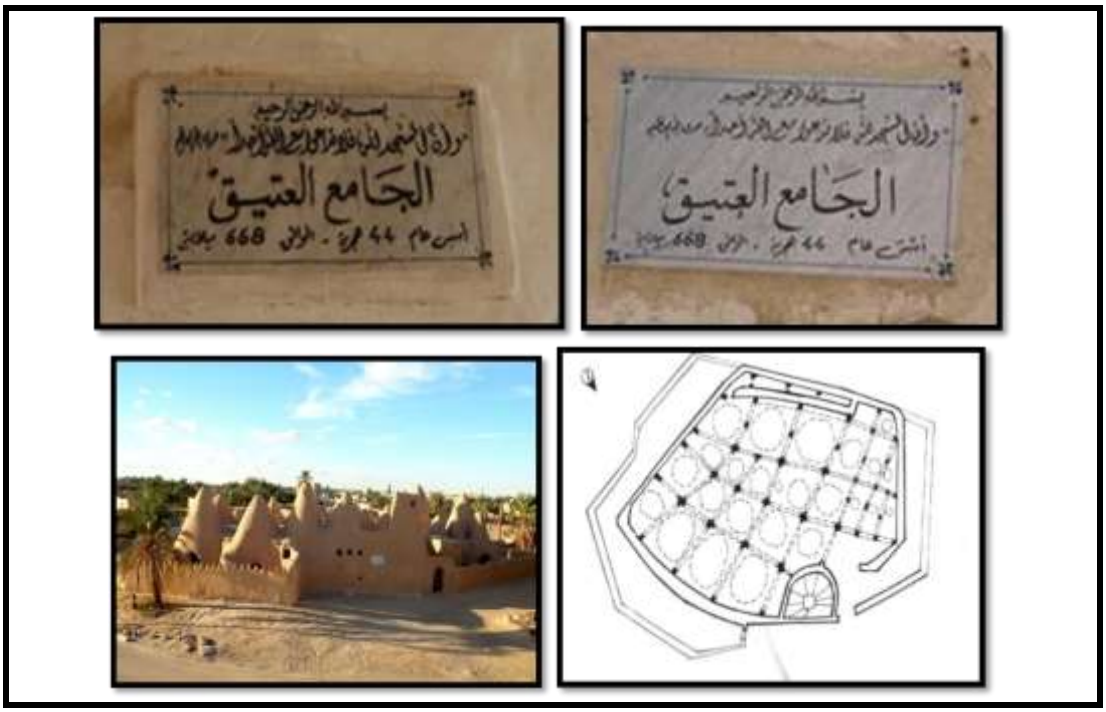

المصدر: نقلا عن غاسبري ميسانا[12]

وغير بعيد عن هذا المسجد تشير لوحة أخرى مثبّتة فوق مدخل مسجد الأنصاري أو مسجد سيدي رافع بالبيضاء في ليبيا إلى أنّ بناءه كان على يد الصحابي الجليل رويفع بن ثابت الأنصاري سنة 47هـ/668م، ليُعتبر بذلك ثاني المساجد بالغرب الإسلامي إذا سلّمنا بما ذُكِر فيها.

لوحة رقم03: صورتا اللوحة الرخامية المثبّتة بمسجد الأنصار بالبيضاء والمسجد

المصدر: نقلا من موقع وزارة الثقافة التونسية، مصلحة الأرشيف–

عدا ذلك نجد إجماع جلّ الباحثين تقريبا على أنّ المسجد الذّي بناه عقبة ابن نافع بالقيروان ما بين سنتي 50 و55هـ/670 و675م هو أوّل مساجد الإسلام في الغرب الإسلامي، قبل أن يُأسّس أبو المهاجر دينار مسجده بمدينة ميلة سنة59هـ/678م وهو المسمى اليوم بمسجد سيدي غانم.[13]

لوحة رقم04: مخطط مسجد سيدي غانم وصورته

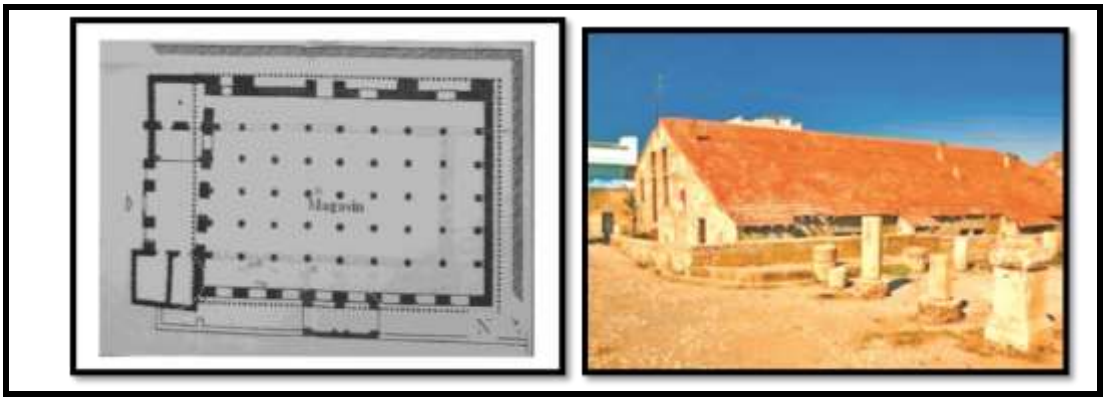

المصدر: نقلا عن عمار بوزير[14].

نقل ابن عذارى عن شيخه أبي علي صالح بن أبي صالح قوله: "**إنه لم يصحّ عنده أن عقبة حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب إلا مسجد القيروان، ومسجده بدرعة–السوس الأدنى– ويعني به رباط شاكر، ومسجد بالسوس الأقصى**"[15]، مما نستنتج أنّ هاذين المسجدين هما من آخر ما أُنشِأ من المساجد بعد مسجد ميلة، وعلى الأرجح أنّ بناءهما قد تمّ نحو سنة62هـ/681م على يد عقبة، وبذكر هذ الأخير لا شكّ في أن نشير إلى مسجده ببسكرة والذي يكون هو الآخر قد بُنِي في نفس الفترة تقريبا.

لوحة رقم05: صورة مسجد رباط شاكر بالسوس الأدنى ومخطط مسجد سيدي عقبة

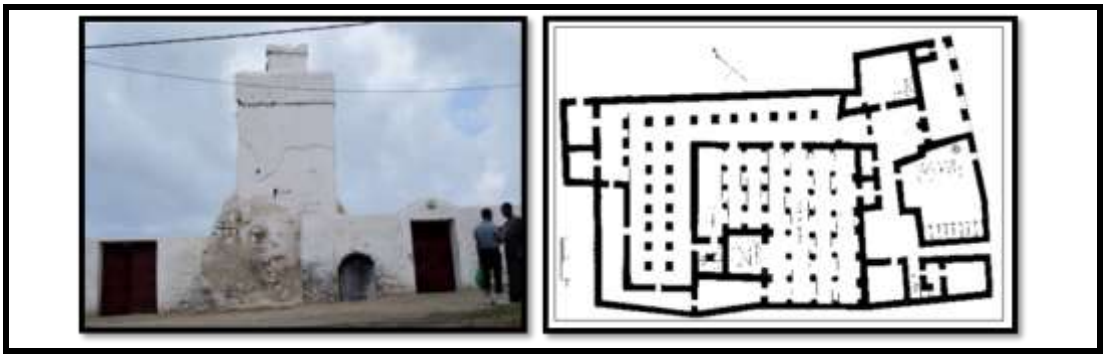

المصدر: نقلا عن بورويبة رشيد

تتداول الكثير من الروايات الشفهية المتواترة اليوم خبر تأسيس عقبة وأصحابه لمسجدهم العتيق بمنطقة طولقة بعد عودتهم من المغرب الأقصى، الأمر الذي كان قد أكّده قبل ذلك ابن عمر الواقدي في كتابه فتوح إفريقية[16]، حتى أنّه أشار إلى أدائهم لصلاة الجمعة به فسمّي بمسجد الجمعة، وهذا هو خامس مساجد القرن الأول ببلاد المغرب الإسلامي.

لوحة رقم06: صورة مسجد طولقة ومخططه

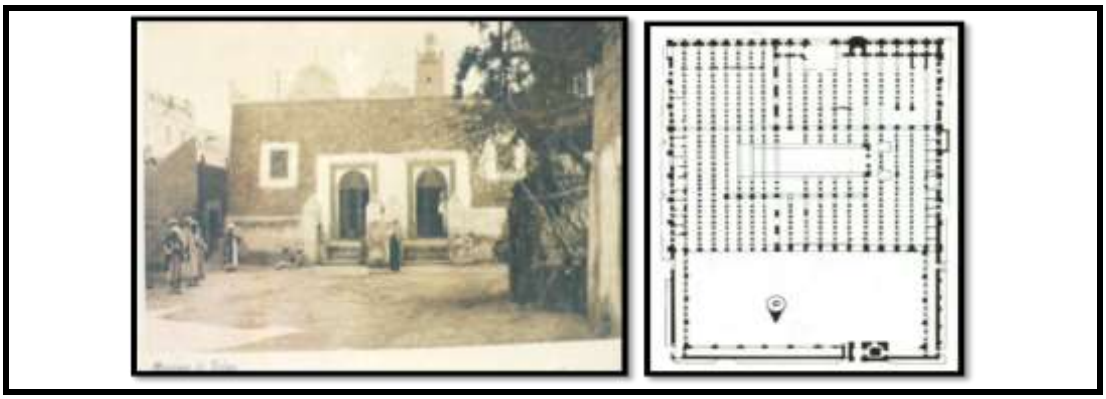

المصدر: نقلا عن: عمار بوزير[17]

بعد عقبة بن نافع وأصحابه نجد أنّ لموسى بن نصير نصيب من تأسيس مساجد الإسلام بشطره الغربي خلال القرن الهجري الأول، حيث ذكر ابن عذارى المراكشي بأنّ مسجدي البيضاء وأغمات في المغرب الأقصى من عمله إذ قام بتأسيسهما ما بين سنتي 83هـ و85هـ المصادفتين لسنتي 702-705م[18]، ليضيف ابن الأثير عند تعرّضه لدخول ابن نصير للأندلس بأنّ هذا الأخير هو من ابتنى مسجد الرايات بالجزيرة الخضراء سنة 85هـ/705م .[19]

ولعلّ آخر مسجد تم تأسيسه خلال القرن الأول الهجري هو مسجد الشرافات بالمغرب على يد طارق بن زياد حيث قال عنه ابن عسكر: "**أنّه أُسّس –يقصد مسجد ابن زياد بالشّرافات– أواخر القرن الأول للهجرة**".[20]

صورة رقم01: مسجد موسى بن نصير بأغمات

المصدر: نقلا من موقع وزارة الأوقاف المغربية

من جهة أخرى وبالمغرب الأوسط –الجزائر– مجال دراستنا انتشرت عمارة المساجد بشكل كبير، الأمر الذي يؤكّد بأنّه قد حظي باهتمام واسع برزت على إثره ظاهرة إنشاء هذا النوع من العمائر، إذ تواصل بناؤها على مدار مختلف الفترات الزمنية وامتدادها وباختلاف السلالات والدول الحاكمة فيه.

3. عمارة المساجد بالجزائر من البداية إلى نهاية الحكم الزياني:

تاريخيا وبعد إشارتنا إلى المساجد الأولى بالمغرب الأوسط وهي مسجد سيدي غانم بميلة على يد أبي المهاجر دينار ومسجدي عقبة بن نافع في كل من بسكرة وطولقة، انتشرت فكرة تأسيس المساجد حيث لم يتوان الرّستميون في تخليد أسمائهم بإنشاء المساجد والجوامع إذ ذكرت المصادر فعلا هذا الأمر.

صورة رقم02: صورة تم الإشارة فيها إلى أنها لبقايا المسجد الذي بناه الإمام أفلح

المصدر: نقلا من موقع مؤسسة المعصومة للفكر الإباضي بغرداية

من المرجّح أنّ أقدم هذه المساجد هو ذلك الذي أشار إليه البكري بأنه من بناء عبد الرحمان ابن رستم سنة 161هـ/776م بتيهرت[21]، وللأسف فإنّ مساجد الرستميين لم يتبقّى منها إلا أطلال لأحدها يرجّح أنّها لمسجد بناه الإمام أفلح بتيهرت، أو أطلالا أخرى لمسجد سدراتة برز تخطيطها خلال الأعمال التنقيبية التي مسّت موقع هذه المدينة.[22]

في نفس الفترة لم يتأخر الأدارسة من تثبيت وجودهم بالمغرب الأوسط من خلال إنشاء المساجد الجامعة، ولعل من أبرز أعمالهم المعمارية نجد مسجد الإمام إدريس الأول بأغادير بتلمسان الذّي أسسه سنة 174هـ، وتواصل تأسيس المساجد مع أحفادهم السليمانيين إذ يُعتقد أنّ جامع سيدي معيزة بتنس قد أنشأ من طرفهم[23]، كما ذكرت العديد من المصادر جامع مدينة أرشقول المندثرة إذ وصفه البكري قائلا: "...**وبمدينة أرشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفي صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء...**"[24]، هذا المسجد أرّخه الأستاذ موشموش مُحَمَّد بما بين سنتي 262-295هـ/876-908م مستندا في ذلك على كونه قد أنشأ بالتزامن مع مسجد تنس[25]، ومستشهدا بما ذكره البكري بأنّ دخول

إبراهيم بن مُحَمَّد بن سليمان إلى تنس كان متزامنا مع تأمّر أخيه عيسى لأرشقول قبل وفاته بها سنة 295هـ وباعتباره هو من أمر ببناء جامعها[26].

لوحة رقم07: صورة مسجد سيدي معيزة بتنس ومخططه

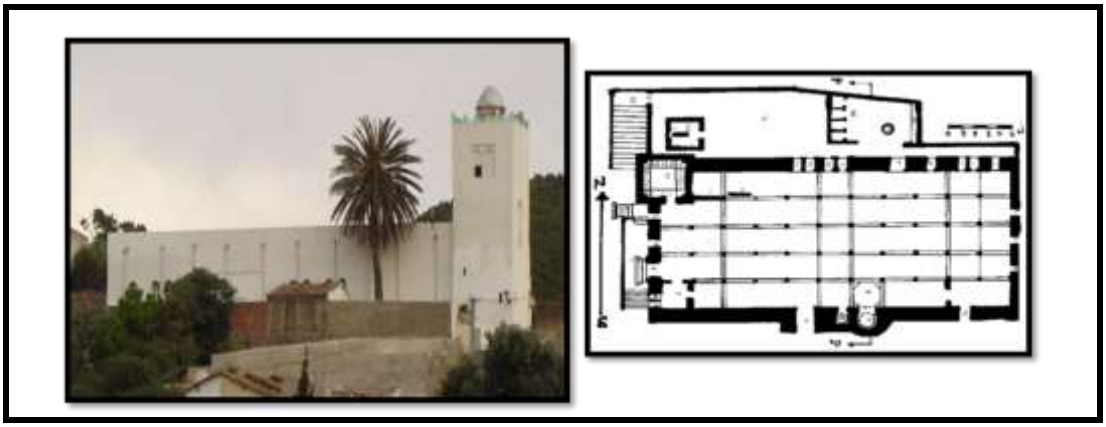

المصدر: نقلا عن مُحَمَّد موشموش[27].

بعد ذلك يمكننا أن نشير إلى مسجدين نعتقد أنّ تأسيسهما كان خلال حكم الأغالبة للجانب الشرقي من المغرب الأوسط وهما مسجد أورير ببلدية زمورة في ولاية برج بوعريريج المؤرّخ بتاريخ 236هـ[28]، ومسجد سيدي موسى الخدري ببسكرة.[29]

لوحة رقم 08: صورة مسجدي أورير سيدي موسى الخدري ومخططيهما

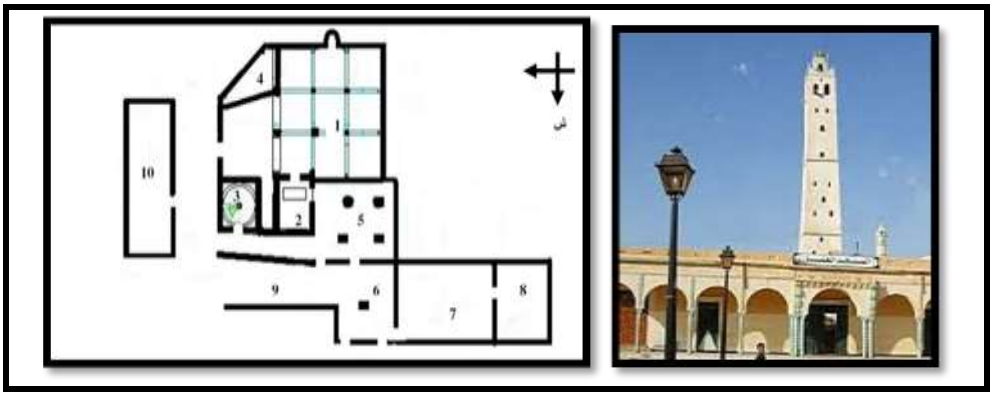

المصدر: نقلا عن كل من: شافية عبلول وشلوق فتيحة[30].

تلت تلك الفترات الحكم الزيري–الحمادي وكسالف العهد فقد قام الحكام خلال هذه الفترة بإنشاء المساجد الجديدة من جهة والاعتناء بتلك الموجودة قبل ذلك من جهة أخرى، أهم ما نشير إليه هنا هو ترميم جامع سيدي عقبة ببسكرة وبناء جامع قلعة بني حماد وجامع أبي مروان بعنابة والجامع الكبير بقسنطينة بالشّرق الجزائري[31]، وجامعا سيدي رمضان بالعاصمة والأعظم ببجاية بالوسط الجزائري.

لوحة رقم 09: صور ومخططات المساجد الحمادية والزيرية أبي مروان بعنابة والكبير بقسنطينة وسيدي رمضان بالعاصمة

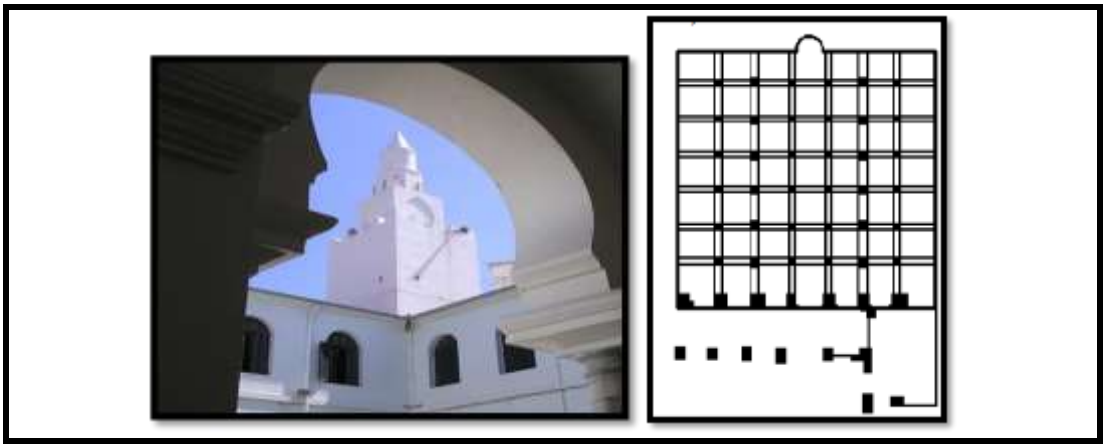

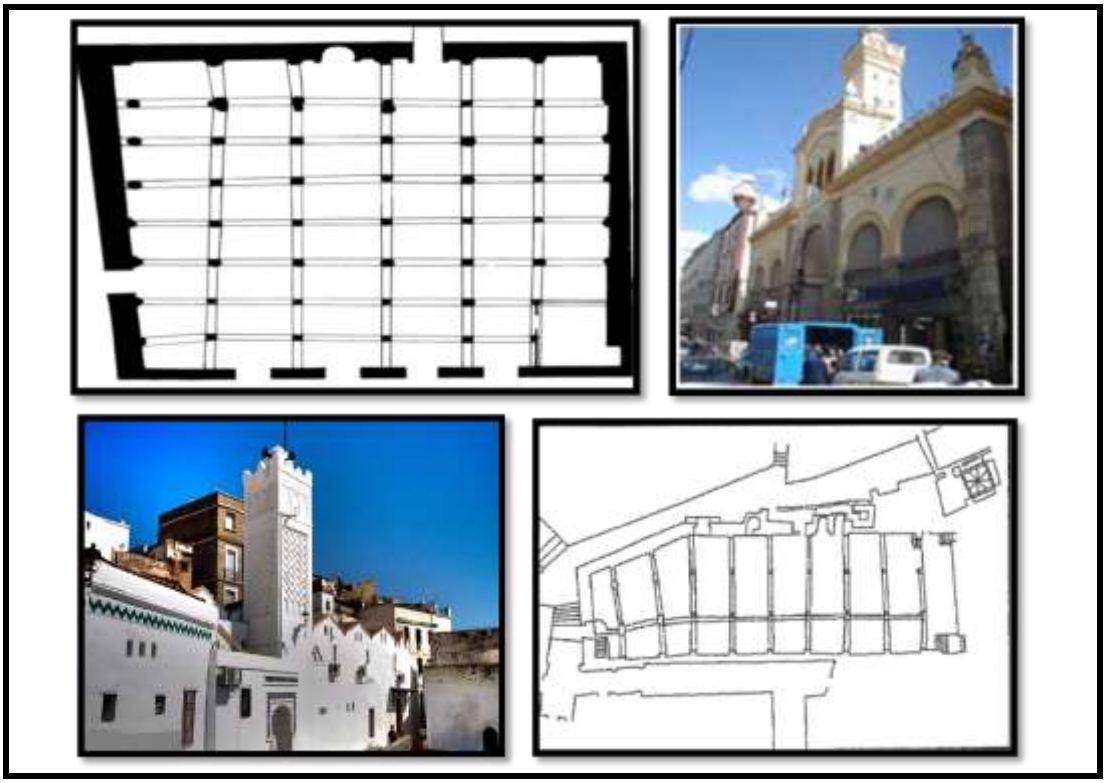

المصدر: نقلا عن Redjam Meriem[32]

نوع آخر من المساجد أنشأ بالمغرب الأوسط متميزا بسمات فنية وخصائص معمارية جديدة ورائعة، إنها مساجد الفترة المرابطية والمشهور منها ثلاثة هي مساجد كل من تلمسان وندرومة والعاصمة.

لوحة رقم 10: مخططات المساجد المرابطية بتلمسان وندرومة والعاصمة بالترتيب

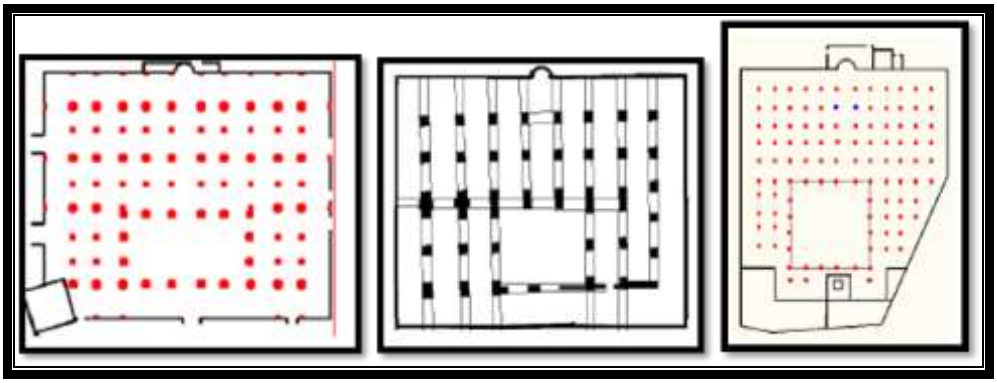

المصدر: نقلا عن Redjam Meriam[33]

وفي تقرير لمديرية الثقافة والفنون لولاية المدية متعلق بالمعلم الأثري "المسجد الأحمر" نجد تأريخه خلال الفترة المرابطية[34]، لنشير في الأخير إلى أنّه وحسب العديد من المصادر التاريخية فإنّ التقاء عبد المؤمن بن علي مع المهدي بن تومرت أيام حكم المرابطين كان في ملالة قرب بجاية وبالضبط في مسجد سيدي بوزكري مما يرشّح هذا الأخير لأن يكون قد بُني خلال نفس الفترة وقد تم ذُكر هذا المسجد ضمنيا وليس مباشرة في كثير من المصادر التّاريخية.[35]

صورة رقم03: المئذنة العثمانية التي بقت من المسجد الأحمر المرابطي بالمدية

المصدر: نقلا عن عن مديرية الثقافة لولاية المدية.

وبذكر عبد المومن بن علي والمهدي بن تومرت لا بد وأن نذكر الدّولة الموحدية، وإذ وبالرغم من قلّة مساجدها بالمغرب الأوسط إلّا أنّ بصمتها تبقى حاضرة في العمارة المسجدية، ونجد أن حاضرة بجاية وأحوازها قد حازت على أكبر عدد من المساجد خلال هذه الفترة أهمّها جامع القصبة[36] والذّي تم ذُكره في خضمّ الحديث عن زحف علي بن غانية الميورقي على بجاية حيث جاء في كتاب رسائل موحدية: "...**وتقدم– أي ابن غانية– إلى القصبة –يقصد قصبة بجاية– فاحتلها...ثم تيّم الجامع– وهو جامع القصبة– والناس في صلاة الجمعة فأحاطهم بجنوده**...".وهو المسجد الرئيسي بمدينة بجاية أيام حكم الموحّدين لها[37]، وبخارجها وبالضبط في ريفها بنيت عدّة مساجد خلال نفس الفترة جامعي قلعة بني عباس وسيدي عبد الحق الأشبيلي المؤرّخان بالقرن 6هـ/12م.[38]

بعد انهيار الحكم الموحدي واقتسام تركته بين الدويلات الثلاث الزيانية والمرينية والحفصية تسابقت إلى إنشاء المساجد، حيث نجد أنّ هذه الأخيرة قد أسّس حكامها مسجد العزابة الكبير بورقلة الذّي ذكر ابن خلدون بأنّه من أعمال أبي زكرياء بن أبي حفص، وإن كان الزيانيون قد شيّدوا عددا كبيرا من المساجد أكثرها بحاضرتهم تلمسان أهمها مساجد ولدي الإمام وسيدي أبي الحسن التّنسي وسيدي إبراهيم المصمودي والمشور، فإنّ المرينيين قد حذوا حذوهم بتأسيسهم لعدة مساجد كمنصورة وسيدي أبي مدين شعيب بالعباد وسيدي الحلوي وهي كلّها بتلمسان، إضافة إلى مسجدهم الأعظم بمستغانم.

4. خاتمة:

رغم تأخر نشأة المساجد وتطوّرها بالمغرب الأوسط –الجزائر– مقارنة بنظيراتها المشرق الإسلامي ومصر والمغرب الأدنى –طرابلس وتونس– إلّا أنّ ذلك لم يمنع من أن يكون لها نصيب وافر من العمارة المسجدية المبكرة، حيث تم بناء عدد لا بأس به هذه المنشآت منذ وصول الإسلام لهذا القطر المبارك.

إنّ التحولات والتّغيرات السياسية التّي مسّت المغرب الأوسط –الجزائر– منذ الفتح الإسلامي لها وتبعيتها للخلافة الراشدة ثم الخلافتين الأموية والعباسية بعدها مرورا بالدولة الرستمية والأغلبية والإدريسية والفاطمية ووصولا إلى الدولة المرابطية والموحدية والزيانية والحفصية وحتى المرينية، وبقدر ما أثّرت سلبا بالنسبة للمجال العقدي الفقهي ولاجتماعي والثقافي أحيانا بقدر ما ساهمت إيجابا فيما يخص ظاهرة بناء المساجد نظير تنافس حكام كل هذه الدّول على بناء المساجد وتوقيفها.

لقد تميزت عمارة المساجد بالجزائر خلال الفترات السالفة الذّكر بعدد كبير من المميزات في مقدّمتها الامتدادين إمّا طوليا وإما عرضيا وتشكيل البوائك والأساكيب والبلاطات انطلاقا من الدّعامات والأعمدة المرتكز عليها العقود بمختلف أنواعها.

إلى هنا نكون قد ختمنا الحديث عن المساجد الأولى في العالم الإسلامي عامة وبالمغرب الأوسط– الجزائر– خاصة، وهذا إلى غاية نهاية حكم الدّويلات الثلاث على أقصى تقدير، وقبل بداية التواجد العثماني بالجزائر أين شهدت هذه الأخيرة خلاله نهضة عمرانية ومعمارية كبيرة صاحبها إنشاء عدد كبير من المساجد سيكون لنا عودة لها في قادم الأبحاث بإذن الله.

ما يمكن التوصية عليه هو مواصلة البحث في مثل أهذا النوع من الدّراسات لأنه ما زال خصبا نظير تواجد عدد كبير من المدن الإسلامية المندثرة وحتّى القائمة لليوم لم يمسها التنقيب والحفريات بشكل كامل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن الانطلاق من دراستنا هذه لتكون قاعدة أساسية نحو تنميط

وتصنيف عام وشامل وكامل للمساجد في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة كل بمخططه وتصميمه وعناصره المعمارية.

5. الهوامش:

[1] حسين مؤنس، **المساجد**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص13.

[2] مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، مكتبة مدبولي، القاهرة،2007م، ص27 .

[3] أبو عبيد الله بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1986م، ج06، ص176.

[4] عمار مُحَمَّد بوزير، **الآثار الإسلامية بالجزائر: مسجد سيدي غانم نموذجا**، دار الألوكة، بيروت، 2010م، ص8.

[5] كونل إرنست، **الفن الإسلامي**، تر: أحمد موسى، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 1966م، تفرّقت هذه المعطيات في أكثر من 40 صفحة. وانظر أيضا: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص–ص 83–93.

[6] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص–ص 98–101.

[7] حسام الدّين بهجت النّبوي، **ميتافيزيقا العمارة في القرن العشرين: رؤية تنظيرية**، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، مصر، 2011م، ص64.

[8] سعاد ماهر، **مساجد من السيرة النبوية**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م، ص–ص13–15. وارجع أيضا إلى: مُحَمَّد عاصم رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مطبعة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص282.

[9] مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، المصدر السابق، ص–ص 223–225. وانظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص–ص 48–57. وانظر أيضا: نجيب عبد الله بن سالم، **تاريخ المساجد العتيقة: منارات الهدى في الأرض**، تح: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2003م، ص–ص 192–197.

[10] مُحَمَّد هاشم غوشة، **تاريخ المسجد الأقصى**، وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية، رام الله، 2002م، ص-ص 41-43.

[11] سلام مُحَمَّد بشر الجيجكلي، **دراسة تاريخية معمارية مقارنة بين الجامع الأموي بدمشق والجامع الأعلى بحماة**، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، مج41، 2020م، ص02.

[12] غاسبري ميسانا، **المعمار الإسلامي في ليبيا**، تع: علي الصادق حسنين، دار الجماهيرية للنشر، طرابلس الغرب، 1973م، ص290.

[13] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص156.

[14] عمار بوزير، المرجع السابق، ص25.

[15] أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان وليفي بروفنصال، رقم22، سلسلة المكتبة الأندلسية، دار الثّقافة، بيروت، 2003م، ج01، ص22.

[16] مُحَمَّد ابن عمر الواقدي، **فتوح إفريقية**، تح: أحمد المهنا، مطبعة ومكتبة المنار، تونس، 1966م، ج02، ص03.

[17] عمار بوزير، المرجع السابق، ص25.

[18] أبو العباس ابن عذارى المراكشي، المصدر السّابق، ج01، ص23.

[19] أبو الحسن ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، مطبعة القاهرة الوطنية، القاهرة، 2002م، ج03، ص790.

[20] مُحَمَّد بن عسكر الشفشاوني، **دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح: مُحَمَّد حجي، رقم01، سلسلة التّراجم، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنّشر، الرباط، 1977م.

[21] أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب: وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، عمان، 1999م، ص77. وانظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ص196.

[22] عبد العزيز شهبي، **مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ**، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1985م، ص171.

[23] مُحَمَّد موشموش، **مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية أثرية معمارية**، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009م، ص46.

[24] أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص77.

[25] مُحَمَّد موشموش، المرجع السابق، ص31.

[26] أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص60.

[27] مُحَمَّد موشموش، المرجع السابق، ص وص265 و305.

[28] شافية عبلول، **الأطلس الأثري لولاية برج بوعريريج: العصر القديم والإسلامي**، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011م، ص112.

[29] عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص27. وانظر أيضا: فتيحة شلوق، **دراسة أثرية ومعمارية لمسجد الخدري**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج02، ع04، جامعة بسكرة، 2009م، ص263.

[30] شافية عبلول، المرجع السابق، ص وص 153و131. وانظر أيضا: فتيحة شلوق، المرجع السابق، ص267.

[31] Meriem Redjam, **L'évolution des éléments architecturaux et architectoniques de la mosquée en vue d'un cadre référentiel de conception**, mémoire de Magister en patrimoine archetectural, Université Baji Mokhtar, Annaba, 2014g, p-p 50-60.

[32] Ibid, p57.

[33] Ibid, p62.

[34] أحمد مربوش، **قائمة التّراث الوطني بولاية المدية: ضمن اللجنة المشتركة بين قطاعي الثّقافة والسياحة**، تقرير خاص بمصلحة حماية التّراث التابعة لمديرية الثّقافة بولاية المدية، تحت مصادقة اللجنة الوطنية لحماية التّراث، المدية، 2022م، ص02.

[35] أبو بكر بن علي البيدق الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص75. وانظر أيضا: زين الدين أبو حفص عمر بن المظفّر ابن الوردي الكندي، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج02، ص16.

[36] مؤلف مجهول، **رسائل موحدية: مجموعة جديدة**، تح: أحمد العزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2005م، ص252.

[37] عبد الكريم عزوق، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها**، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدّكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2007م، ص31. واظر أيضا: زينب ليهم، **المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية**، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011م، ص18.

[38] المرجع نفسه، ص ص 24- 33.